مجلة الدراسات الإسلامية (Al-Dirâsât Al-Islâmiyya) / المجلس الإسلامي الأعلى/ المجلد 22 ع 02
20 صفر 1444 هـ. الموافق 16/ 09/ 2022
ISSN: 1112-4083

نظرات جديدة في جدلية منهج الإمام أحمد بن حنبل

New look at the dialectic approach of Imam Ahmad bin Hanbal

د. عالية سليمان سعيد العطروز * Dr. Alaa Suleiman Saeed Al Atrouz aliaalatroz@gmail.com	إسلاميات	الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا – أمريكا

الإرسال: 2022/05/16 **القبول**: 2022/05/30 **النشر**: 2022/09/16

ملخص: موضوع هذه الدراسة هو: (نظرات جديدة في جدلية منهج الإمام أحمد بن حنبل)، وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. ولقد خصصت المبحث الأول للحديث عن السيرة الذاتية للإمام أحمد بن حنبل، فبسطت القول في نشأته، ودراسته، وعلمه، ومؤلفاته، وما برع به.

وأما المبحث الثاني، فقد تحدثت فيه عن محنة القول في القرآن الكريم. وأما المبحث الثالث، فقد خصصته للوقوف على المنهج الفكري عند الإمام أحمد بن حنبل .

وأما الخاتمة، فقد ذكرتُ فيها أبرز النتائج التي خرجتُ بها من هذه الدراسة.

كلمات مفتاحية: جدلية، المحنة، المنهج الفكري، النقدية.

Abstract: The subject of this study is: (New look at the dialectic approach of Imam Ahmad bin Hanbal), and this study came in the introduction، and three investigations، and the conclusion.

The first topic was devoted to the biography of Imam Ahmad ibn Hanbal, and it was simplified in his inception، his study, his knowledge، his writings; and what he excelled in.

As for the second topic; I spoke about the ordeal of saying in the Holy Quran. As for the third topic, it was devoted to the understanding of the intellectual approach of Imam Ahmad ibn Hanbal.

As for the conclusion, I mentioned the most prominent results from this study

Keywords: dialectic; ordeal; intellectual method; criticism.

-مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة ولسلام على من بُعث رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آلة وصحبه أجمعين. وبعد:

لقد كرم الله الأمة الإسلامية على مر العصور برجالات حملوا لواء الدين، وكانوا على قدر عظيم من المسؤولية وتحملوا في سبيل ذلك كل ما أصابهم من عنت وأذى. ومن بين العلماء الذين

* - الباحث المُرسل: dr.alia1312@gmail.com

ISSN: 1112-4083

نصر الله بهم هذا الدين الإمام أحمد بن حنبل، رجل النصف الأول من القرن الهجري الثالث، هذا الإمام الذي بلغ في عصره شهرة ومكانة قلما بلغها إمام إلا من ماثله _رحمه الله تعالى-.

لقد عُرف الإمام أحمد بن حنبل بالعديد من الصفات منها الورع والتقوى والعلم والإخلاص لدينه وربه. الذي رسم له صورة واضحة من خلال موقفه الذي تمسك به، في فترة امتحنت فيها الأمة في عقيدتها، فصبر رحمه الله تعالى، وتحمل ليصبح مثلا يضرب في الصبر على البلاء.

ومن هنا، فقد خصصته هذه الدراسة للتعرف على حياة هذا الإمام رحمه الله تعالى، ومنهجه ونزعته الفكرية: وجعلته ضمن ثلاثة مباحث، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: السيرة الذاتية للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني: أحمد بن حنبل ومحنة القول بخلق القرآن الكريم.

المبحث الثالث: منهج الإمام أحمد بن حنبل الفكري.

المبحث الأول: السيرة الذاتية للإمام أحمد بن حنبل

المطلب الأول: الجانب الشخصي من حياة الإمام أحمد بن حنبل

- **نسبه وأسرته:**

(هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله[1] بن حيان بن عبدالله بن انس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبه بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[2]. فهو من ولد بني شيبان بن ذهل لا من بني ذهل بن شيبان، وذهل ابن ثعلبه هو عم ذهل بن شيبان)[3].

إن الثابت في نسب الإمام أحمد بن حنبل أنه عربي، فليس في العرب أعز دارا، ولا أمنع جارا، ولا أكثر خلقا من شيبان، ومما يذكر فيهم أيضا أنه قد كثر فيهم على مر التاريخ القادة، والعلماء، والأدباء، والشعراء، فهي قبيله ربيعية عدنانية تلتقي مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في نزار بن معد بن عدنان.

1- الشكعة، مصطفى: الأئمة الأربعة، ج4/ص7.

2- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص16.

3- أبو بكر، الخطيب: تاريخ بغداد، ج4/ص414.

ISSN: 1112-4083

ومما يذكر عن الإمام أحمد بن حنبل أنه رغم ما كان للعرب في صدر الحكم الإسلامي من جاه وشأن عظيم زيادة على فخر العرب، بأن القرآن أنزل باللغة العربية، والرسول عليه الصلاة والسلام من العرب، فلم يكن الإمام يعتد على الناس بهذا الانتماء، بل كان في غاية التواضع. ومن القصص الدالة على ذلك، ما ذكر على لسان محمد ابن الفضل؛ حيث يقول :وضع أحمد بن حنبل عندي نفقته، فكان يجي في كل يوم فيأخذ منه حاجته، فقلت له يوما :يا أبا عبدالله بلغني أنك من العرب، فقال: يا أبا نعمان نحن قوم مساكين، فلم يزل يدافعني حتى خرج ولم يقل شيئا[1]

- **أبوه وجده:**

أما أبوه محمد بن حنبل فقد كان منخرطا في جيش خراسان، وكان على ما يقول الأصمعي قائدا، وكان في زي الغزاة. وأما جده حنبل بن هلال، فقد كان والي (سرخس) في عهد الأمويين، ومن أوائل دعاة العباسيين، ويروي ابن عساكر :أن المسيب ابن زهير الضبي ببخاري، ضرب حنبل بن هلال، وأبا النجم إسحاق بن عيسى السعدي، وحلقهما في دسهم إلى الجند في الشغب[2]

- **أمه:**

أما أم الإمام أحمد بن حنبل فهي شيبانية، واسمها صفيه بنت ميمونه بنت عبدالملك الشيباني من بني عامر، حيث كان جدها عبد الملك بن سوادة بن هند الشيباني من وجوه شيبان، وكان ينزل عليها من قبائل العرب فتضيفهم، وهكذا نزل أبو الإمام أحمد بهم، وتزوج منهم صفيه، لتصبح فيما بعد أما لولده الإمام أحمد[3]

- **نشأته:**

يعود أصل أسرة الإمام أحمد بن حنبل إلى البصرة _لذلك كان ينسب أحيانا إليها بقولهم البصري_، إلا أن اتساع حركه الفتوحات الإسلامية التي كان أبوه وجده من قاداتها، أدت بهم إلى الخروج من البصرة لخراسان، حيث اختارت أسرة الإمام الإقامة بمرو لفترة، ثم قرروا بعد ذلك العودة إلى العاصمة بغداد؛ لذلك يعد الإمام أحمد بغدادي المولد والنشأة والوفاة.

1- الدقر، عبد الغني: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص: 17.

[2] - المرجع السابق صفحه 18.

[3] - ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ص12.

ولد الإمام أحمد في بغداد، في شهر ربيع الآخر من سنه أربع وستين ومائه، وعاش في ظل والديه مدة ثلاث سنوات، إلى أن توفي والده الذي لم يجاوز الثلاثين سنه، فكفلته أمه وقامت بتربية، فمن الثابت أن الإمام أحمد بن حنبل نشأ يتيما لم يدرك كلا من أبيه وجده. وهنا يُذكر قول عن صالح بن أحمد عن أبيه قال: فثقبت أذني، وجعلت فيها لؤلؤتين، فلما كبرت دفعتهما إلى فبعتهما بثلاثين درهما، وقد قال بعضهم أن مسألة ثقب الأذن عند الصبي ما كانت تعرف في بلاد العرب، فربما تعلمتها أم الإمام أحمد من أهل خراسان.)[1]

ومن الأمور التي تذكر حول الإمام أحمد في صباه، ما نقل عن أبي بكر المروزي، حيث يقول: قال لي أبو عفيف، وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل، فقال: كان الكتاب معنا، وهو غليم نعرف فضله، وكان الخليفة بالرقة، فيكتب الناس إلى منازلهم فيبعث نساؤهم إلى المعلم: ابعث إلينا بأحمد بن حنبل ليكتب، فيبعثه فكان يجيء إليهم مطأطئ الرأس، فيكتب جواب كتبهم، فربما أملوا عليه الشيء من المنكر، فلا يكتبه لهم. فمن خلال هذه الحادثة يظهر لنا الدليل على تبكير ورع الإمام وتقواه، حتى أنه اشتهر عنه، أنه إذا أُملي منكرا لا يكتبه، فما تمتع به الإمام مع ألمعية مبكرة، كان سببا في لفت أنظار الناس إليه منذ الصغر.[2]

إن يُتم الإمام أحمد في صغره، وفقد والده في سن مبكر كان سببا بأن ينشأ الإمام نشأة قوية جادة، وكله رغبة في العمل والكسب الحلال، لذلك نراه قد استفاد في سن مبكرة من إتقانه الكتابة في العمل مع عمه في كتابة الرسائل، فإصرار الإمام رحمه الله على أن لا يأكل إلا من عمل يده، جعله يقبل على القيام بأي عمل شريف، يؤمن من خلاله ما يحتاج من نفقه[3]، لذلك أثر عنه رحمه الله تعالى أنه كان ينسخ للناس بالأجر، وكذلك فقد عمل رحمه الله تعالى بنسج التكك، حيث يقول في ذلك إسحاق بن راهويه :" كنت أنا واحمد باليمن عند عبد الرازق، وكنت أنا فوق الغرفة، وهو أسفل، وكنت إذا جئت إلى موضع اشتريت جاريه، فاطلعت على أن نفقته فنيت، فعرضت عليه فامتنع، فقلت: إن شئت قرضا، وإن شئت صلة، فأبى، فنظرت فإذا هو ينسج التكك ويبيع وينفق.[4]

[1] - أبو زهرة، محمد: ابن حنبل حياته وعصره-آراؤه وفقهه، ص12-13.

[2] - ابن الجوزي: المناقب، ص12-13

[3] - أبو زهرة محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية 2/ 485

[4] - الدقر عبد الغني: احمد بن حنبل إمام أهل السنة ص: 28.

هكذا كان حال علمائنا رحمهم الله تعالى، فما كان علمهم ليكون حائلا بينهم وبين العمل الحلال، مهما كان، فلا يفيد جنس العمل مادام أنه مشروع، وإنما قمه العيب عندهم أن تجعل من نفسك عالة على الآخرين، وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي عاشها الإمام لم ينس أمه وأهله أن يوجهوه لطلب العلم، الذي نال منه الإمام فيما بعد الكثير، فكان أكبر الفضل عليه يعود بعد الله إلى أمه التي وجهته منذ الصغر إلى دراسة العلوم الإسلامية، فحفظ القرآن الكريم، ودرس اللغة العربية، والحديث، وآثار الصحابة والتابعين، وسيره النبي صلى الله عليه وسلم، وسيره صحابته المقربين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. (1)

- **في ذكر عدد زوجاته:**

ذكر بعض الأئمة مقولة منسوبة لأبي بكر المروزي، يقول فيها :سمعت أحمد بن حنبل يقول :ما تزوجت إلا بعد الأربعين، حيث ذكر هذا القول عند أبي الفرج بن الجوزي في كتابه: (مناقب الإمام أحمد بن حنبل)، إلا أنه لا يسلم بهذا القول؛ لأن ابن الإمام أحمد المسمى صالح، ولد سنه ثلاثة ومائتين، فيكون عمر والده حين تزوج نحوا ثمان وثلاثين سنه (2).

وحول زوجات الإمام فيذكر أن أول زوجاته عائشة بنت الفضل أم ولده صالح، وهي عربية الأصل من الربض، لم يكن للإمام منها غير ولده صالح، وينسب للإمام أحمد قولا عنها يقول فيه: أقامت معي أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة، ثم تزوج الإمام بعدها بريحانه أم ولده عبد الله. ومما يذكر عنها ما قاله عن محمد بن بحر: لما اجتمعنا لتزويج أبي عبد الله بأخت محمد بن ريحان قال له أبوها: يا أبا عبد الله، إنها ووضع إصبعه على عينيه، يعني أنها بفرد عين فقال لهو أبو عبدالله علمت.

أما القول بأن الإمام لم يتزوج الثانية إلا بعد وفاة الأولى، وقد استمرت عنده ثلاثين سنة، فهذا بعيد الاحتمال؛ لأنه ليس بين عبد الله وصالح إلا نحو عشر سنين، فإن صالحا ولد سنة(203هـ) وعمر أبيه تسع وثلاثون سنه. أما عبد الله فمولده سنة(213هـ). وهذا ما يدل على أن الإمام أحمد تزوج أم عبد الله على أم صالح، وجمع بينهما، ولا يصح غير ذلك إن صحت تواريخ الولادة والوفاة. أما ابن الجوزي في كتابه (المناقب)، قد تنبه لهذا التناقض، لذلك نراه قد جعل الفرق بدل (30

1- أبو زهرة محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية، 485/2.

2- ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص: 298.

سنة) عشرين سنة، ومع هذا فلا يستقيم المعنى أيضا إلا أن يكون الفارق بين الزوجتين عشر سنوات. أما إذا استمرت ثلاثين كما ورد فلا يستقيم الجمع بينهما.[1]

- **في ذكر سراريه:**

قيل إن الإمام بعد وفاة زوجته أم عبد الله اشترى جارية كان اسمها (حُسن)، فولدت منه أم علي، واسمها زينب، ثم ولدت الحسن والحسين توأما، وماتا بالقرب من والدتهما، ثم ولدت الحسن ومحمدا فعاشا حتى صارا من السن إلى نحو الأربعين سنة، ثم ولدت بعدهما سعيدا. وقد ذكرا أيضا أن الإمام قد شرى جارية اسمها ريحانه، وقد استأذن أهله قبل أن يشتري بها اتباعا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فأذنت له، وهذا على ما يدل على أنه اشترى ريحانه زمن إحدى زوجاته.[2]

- **في ذكر أولاده:**

أشهر أولاد الإمام أحمد هما صالح، وعبد الله، كلاهما من أم عربية؛ فصالح وهو أكبر أولاد الإمام أحمد ولد سنة (203هـ)، كنيته أبو الفضل، وقد ابتلى بالعيال على حداثته، لذلك قلت روايته عن أبيه، وقد سئل عن ابن أبي حاتم، فقال: كتبت عنه بأصبهان، وهو صدوق ثقة، وقد نشر جزءا من فقه أبيه، ولشدة حاجة صالح، ولكثرة عياله قبل القضاء بأصبهان، ولبث قاضيا فيها حتى مات سنة (266هـ)، ويذكر من عقبه أحمد الذي خرج من صلبه محدثا، وهو محمد بن أحمد بن صالح المكنى بأبي جعفر، وكذلك كان من أولاد صالح ولد يقال له زهير.

أما عبد الله بن الإمام أحمد فقد ولد سنة (213هـ)، وكان أروى الناس عن أبيه، وسمع معظم تصانيفه وحديثه، وسمع من كثير من عنده منهم عبد الأعلى بن حماد، وكامل بن طلحة، ويحيى ابن معين، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبه، وغيرهم كثير، وروى عن خلق منهم أبو القاسم البغوي، وعبد الله بن إسحاق المدائني، ومحمد بن خلق بن وكيع، ويحيى بن صاعد، وغيرهم.

والحقيقة أن عبد الله هذا يعد وريث أباه في علمه بالسنة؛ فقد كان له حظ وافر من الحفظ.[3]

وحول أبناء الإمام من التسري ستة: اثنان منهما توأمان ماتا عقب الولادة، وثالث كما قلنا يسمى الحسن أيضا، ثم أتاه محمد وهؤلاء ولا يعرف من أخبارهم شيئا، وقبل وفاة الإمام أحمد بنحو من

---

[1] - ابن الجوزي: المناقب، الباب الثاني والستون: في ذكر عدد زوجاته، ص402-405

[2] - ابن الجوزي: المرجع السابق، الباب الثالث والستون: 301 في ذكر سراريه، ص 406- 408.

[3] - ابن الجوزي: المناقب: الباب الرابع والستون: في ذكر عدد أولاده ص:409-ص410.

خمسين يوما، ولد له غلام اسمه سعيد، ومما قيل حول سعيد: إنه ولي في كبره قضاء في الكوفة، وكانت وفاته سنة (303هـ)، روى عنه القاضي أبو عمران موسى بن القاسم الأشعب. وأما حول وفاته، فقد قال بعضهم: إنها كانت قبل وفاة أخيه عبد الله بدهر طويل.

وأما البنات فقد ولد الإمام أحمد منهما بنتا اسمها زينب، ولم يعرف عن زينب إلا خبر واحد في ورع أبيها؛ حيث قال لإسحاق بن إبراهيم: خذ هذه الدجاجة فبعها، فإن أبي يحتاج إلى أن يحتجم، وما عنده شيء، وقد قال إسحاق: رأيت أبا عبدا لله يضرب ابنته على اللحن وينهرها [1]

المطلب الثاني: الجانب العلمي من حياة الإمام **أحمد** بن حنبل

- **دراسته:**

اشتهر الإمام أحمد في صغره ما بين أقرانه بالتقوى، والعناية بعمله، والصبر والجلد، واحتمال ما يكره، ولعل ذلك من فرط اعتماده على نفسه صغيرا، وإحساسه بالاستقلال النفسي منذ طفولته، وقد استرعت هذه الحال نظر العلماء الذين اتصل بهم صغيرا، حيث قال فيه هيثم بن جميل: (إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة أهل زمانه). وبعد ما انتهى الإمام أحمد من تعليم الكتابة والقراءة اتجهت ميوله لدراسة العلم الشرعي، وقد اختار من بين العلوم الشرعية علم الحديث الذي كان يحتاج إلى الانتقال إلى الأمصار المختلفة، وقد جره الحديث فيما بعد إلى الفقه، فالتقى في قلبه الفقه والحديث معا بقدر متناسب، وإن كان بعض العلماء قد رجح فيه جانب الحديث، ولكن الإجماع على أنه التقى فيه [2].

قصد أحمد بن حنبل هشيم سنة (177هـ) ليسمع منه، حيث يقول أحمد بن حنبل: ولم أعقل بعض سماعي يعني ما سمعه على هشيم، ولما بلغ السادسة عشر من عمره منذ عام(179هـ) خلصت كما قلنا وجهته إلى الحديث، علما أنه اتجه بداية إلى أخذ الفقه الجامع بين الرواية والدراية، لذلك كان أول من كتب عنه الحديث أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله، ولكنه لم يلبث طويلا عند أبي يوسف حتى عاد إلى هشيم بن بشير، بعد أن آنس من نفسه القدرة على الفهم والاستيعاب، حيث لزم أحمد بن حنبل هشيم فتره من الزمن حتى توفي هشيم سنة (183هـ)، رغم أن أحمد بن حنبل في سنة (179هـ) كان قد سعى إلى رؤية ابن المبارك، بعد أن قدم إلى بغداد، لكن الفرصة لم تطرح أمامه، إذ أنه قد وجد ابن المبارك حينها قد غادر إلى طرسوس،

1- ابن الجوزي: المرجع السابق.

2- أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب السلامية، 2/ 486.

واستمر أحمد بن حنبل مقيما في بغداد يأخذ من شيوخ الحديث فيها، ويكتب كل ما يسمع حتى سنة (182)؛ أي إلى أن شعرَ أنه لم يبق من أحد في بغداد لم يستفيد ما عنده، حيث اتجهت أفكاره بعدها إلى الهجرة إلى كبريات العواصم، للأخذ عن علمائها [1]

- **رحلته في طلب الحديث:**

من اللوازم التي لازمت العلم منذ زمن قديم الرحلة في سبيل نيل العلم من بلد لآخر، لا سيما لمن يريد تعليم حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك كان شأن الإمام أحمد، فقد سافر من أجل الرواية والسماع إلى بلاد كثيره، منها الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والثغور والمغرب، والجزيرة، والعراقيين، وفارس، وخرسان، والجبال، والأطراف.

إن أول سنة سافر فيها أحمد بن حنبل كانت سنة (182هـ)، حيث سمع على ابن مجاهد الكابلي من أهل الري، وقال البعض إن الإمام قد ابتدأ رحلاته في سنة (186هـ) [2]، إذ رحل حينها إلى البصرة، حيث سمع أن المعتمر بن سليمان، إلا أنه عاد إليها سنة (190هـ)، وكذلك في سنة (194هـ)، وقد مات حينها غدر، فقام على يحيى بن سعد ستة أشهر، ثم بقي في سنة (200هـ) أيضا، ويذكر ابن الجوزي كلاما ينسبه إلى الإمام أحمد، يصف فيه أول زيارة له للبصرة؛ حيث يقول:

"وأول خرجة خرجت إلى البصرة سنة ستة وثمانين، وخرجت إلى سفيان بن عيينة [3] في سنة سبعة وثمانين، قدمنا وقد مات فضيل بن عايض، وهي أول سنة حججت، وكتبت عن إبراهيم بن سعد، فصليت خلفه غير مرة، وكان يسلم واحده". وقد التقى أحمد بن حنبل في هذه الرحلة بالإمام الشافعي لأول مره، كما روى عن قاضيها سليمان بن حرب، وابن عيينه حي.

"وفي سنة ستة وثمانين دخل أحمد بن حنبل عبادان، وكان بها رجل يتكلم قال له الإمام أحمد هداب -اسم الرجل هدبه بن خالد-، قال، نعم أو كان بها أبو الربيع، فكتبت عنه، ويقول الإمام رحمه الله تعالى كنت مقيما على يحيى بن سعيد القطان، ثم خرجت إلى واسط فسأل يحيى بن سعيد عني، فقالوا: خرج إلى واسط، فقال: أي شيء يصنع بواسط، قالوا: مقيم على يزيد بن هارون، قال: وأي شيء يصنع عند يزيد بن هارون؟ قال: -يريد أنه أعلم منه-".

1- أبو زهرة: ابن حنبل، ص22-25. والشكعة: الأئمة الأربعة، ج4-ص22.
2- أبو زهرة: المرجع السابق. والشكعة: المرجع السابق، ج4-ص22.
3- كان سفيان بن عينيه حينها في مكة.

وقال الإمام أحمد: "وخرجت سنة ثمانية وتسعين، وأقمت سنة تسعة وتسعين عند عبد الرازق أي الصنعاني، صاحب المصنف، ورحل بعدها إلى الشام والجزيرة، وسمع في رحلاته كثيرا من كبار الشيوخ، بل كتبا عن علماء كل بلد، ولكن الإمام قد أسف كثيرا؛ لأنه لم يلتق ببعض العلماء؛ كحماد بن يزيد، ومالك بن انس وغيرهم، فقد ماتوا جميعا في سنة واحدة، فلم يجاوز عمر الإمام أحمد حينها (16) من عمره، أي لا يزال على باب هشيم يكتب ما يملي عليه، كما كان أمنية الإمام أن يرحل مع بعض أصحابه إلى الري، للقاء جرير بن الحميد، إلا أن عدم قدرته على توفير النفقة المطلوبة حال بينه وبين ذلك، إلا أن ابن الجوزي يقول: إن الفرصة قد أتيحت فيما بعد لرويه جرير ابن عبد الحميد، إلا أنه لم يتفق له الإكثار عنه [(1)].

وحول رحله الإمام إلى اليمن للسماع من عبد الرازق، فإنه تروى حولها قصه تدل على شده إخلاص الإمام أحمد وتقواه؛ حيث تدور أحداثها كما يلي :-

لما عزم أحمد بن حنبل على الخروج إلى مكة ليؤدي حجة الإسلام، رافق يحيى بن معين، فقال له يحيى: نمضي إن شاء الله فنقضي حجنا، ثم نمضي إلى عبدالرازق إلى صنعاء، نسمع منه فيقول الإمام أحمد: فدخلنا مكة، وقمنا نطوف طواف الورود، فإذا عبد الرازق في الطواف يطوف، وكان يحيى بن معين قد راه وعرفه، فخرج عبد الرازق لما قضى طوافه، فصلى خلف المقام ركعتين، فقام يحيى بن معين فجاء إلى عبد الرازق فسلم عليه، وقال له: هذا أحمد بن حنبل أخوك، فقال: حياه الله وثبته، فإنه يبلغني عنه كل جميل، فقال يحيى: نجيء إليك غدا إن شاء الله، حتى نسمع ونكتب، وقام عبد الرازق فانصرف، فقال أحمد ليحيى: لم أخذت على الشيخ موعدا، قال: لنسمع منه قد أربحك الله مسيرة شهر، ورجع شهر والنفقة، فقال أحمد: ما كان الله يراني وقد نويت نية لي إن أفسدها بما تقول نمضي إليه، فنسمع منه ثم مضى إلى صنعاء وسمع منه.[2]

قال صالح ابن الإمام أحمد رأى رجل مع أبي محبره، فقال له: يا أبا عبدالله أأنت قد بلغته هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين، فقال: من المحبرة إلى المقبرة، رحم الله الإمام أحمد، فعلى الرغم مما عاناه من فقد وتعب، إلا أنه سعى بكل جهده لينال أكبر قدر ممكن من العلم الشرعي، فشده

1- ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص31. والدقر، عبد الغني: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، صـ33.

[2] - أبو زهرة: ابن حنبل، ص27- ص28.

ISSN: 1112-4083

الإخلاص التي امتاز بها جعلته لا يدخر لحظة من شبابه أو كهولته إلا وكله حرص على أن لا تضيع إلا في طلب العلم [1].

- **أحمد بن حنبل الحافظ المحدث:**

توفرت لأحمد بن حنبل أسباب عدة ساعدته -بعد فضل الله عليه- ليكون عالما بحق، ومن تلك الأسباب:

- شغف أحمد بن حنبل بالعلم، حيث إن هذا الحب الفطري الذي زرع في قلبه جعله يقبل بلهفة وشغف لا يوصف على طلب العلم.
- عناية أم الإمام بابنها، وبتوجيه لنيل العلوم الشرعية
- التقوى التي امتاز بها الإمام أحمد بن حنبل، وبعده عن المعصية، لاسيما وأن أكبر شيء ينسي العلم هو المعصية
- صبر الإمام وجلده، وتحمله لكل الصعاب التي واجهته في أثناء ترحاله لطلب العلم، مما أكسبه سعة ورحابة صدر كبيرة، يسرت أمامه سبل العلم
- ما تمتع به الإمام من ذاكرة واعية، وعقلية حافظة، وذكاء شديد، وقلب مشرق بالإيمان،

فهذه الأسباب كلها هيأت أحمد بن حنبل ليكون إماما عظيما من أئمه المسلمين. ولقد شهد له كبار معاصريه بذلك؛ ومنهم علي بن المديني، حيث يقول فيه :(ليس فينا أحفظ من أبي عبدالله أحمد بن حنبل أعرف أبا عبدالله منذ خمسين سنة، وهو يزداد خيرا)

وقال أحمد بن سعيد الرازي: (ما رأيت أسود الرأس، أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أعلم بفقه من أحمد بن حنبل)

إن العلم الواسع الذي عرف به الإمام جعل الناس يتلمسون جلوسه للتحديث، ولكنه كان يستمهلهم حتى يبلغ أشده، حيث كان رأيه بأنه لا ينبغي له أن يجلس للتحدث ما دام أن أئمته أحياء، كما أنه يرى أن لا يجلس الرجل للتحديث إلا إذا بلغ سن الأربعين، وهو سن النبوة، وزمن الرشد [2].

1-أبو زهرة: ابن حنبل، ص 28 – ص29.

2- الرومي، أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا، صـ224، صـ227.

ISSN: 1112-4083

(ثم جلس الإمام أحمد متأهبا ليدرس حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس، بعد أن أجاز لنفسه الجلوس، رغم إجازة شيوخه له قبل الأربعين . بل كانوا يستفتونه فيه، ويطلبون دقائق العلم منه . أما حلقات درس الإمام أحمد؛ فكان يبلغ عدد الحاضرين لها. -كما يقول ابن الجوزي- حوالي الخمسة آلاف، وكان الذي يكتب حوالي الخمسمائة. وطبعا فإن ذلك يدل على ثقة الناس في حديثه ومبلغ علمهم في روايته.

ومما عرف عن أحمد بن حنبل أنه لم يحدث من محفوظه إلا نادرا، بل أكبر اعتماده إنما كان على ما كتب من الحديث من جهة رجاله الثقات، الذين أخذ عنهم الحديث. وطبعا لا يحق لأحد أن يتخذ هذا الأمر سببا للطعن في الإمام أحمد من جهة حفظه وضبطه لحديث النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقد أثر عن الإمام أنه كان يطلب من ولده عبد الله أن يخلط الإسناد فيميزها، أو يقرأ ما يشاء من سند، ويقرأ الإمام حديثه، أو يقرأ الحديث، ويقرأ الإمام الإسناد. وحول إصرار الإمام على أن لا يحدث الناس إلا من المكتوب عنده من حديث النبي (عليه الصلاة والسلام)، إنما كان رغبة منه ليتأكد من تلقي الناس الحديث الصحيح، كما دونه هو عن رجاله الثقات. [1]

وما دام أن الكلام قد قادنا للحديث عن شخصية أحمد بن حنبل المحدث، أجد أن المقام يقتضي الإشارة إلى أكبر مؤلفات الإمام أحمد بن حنبل ألا وهو (المسند).

- مسند الإمام أحمد:

تختلف المسانيد عن كتب السنن، فالمسند مؤلف على أساس ما يقع للمؤلف لكل صحابي من أحاديث، وتجمع في باب واحد هو اسم الصحابي. ومن الأسانيد مسند عبد بن حميد، والدرامي، وابن يعلي، والبزار، ومسند الإمام أحمد وغيرها. أما السنن: فهي كتب يجمع فيها حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتبا على أبواب الفقه والسيرة والتفسير، وغير ذلك. كسنن الترمذي والنسائي وغيرها. وحديثنا هنا عن مسند الإمام أحمد، الذي ابتدأ به مؤلفه سنة (180 هـ). وهو يشمل أحاديث كثيرة عن النبي (عليه الصلاة والسلام)، على الترتيب الآتي:.

أحاديث أبي بكر. أحاديث عمر بن الخطاب. أحاديث عثمان بن عفان. أحاديث على بن أبي طالب. ثم أحاديث أئمة الصحابة (رضي الله عنهم)، وينتهى بمسانيد الأنصار، والمكيين، والمدنيين، وأهل الكوفة، والبصرة، والشامين، وبالجملة قال الحافظ أبو موسى: فأما عدد الصحابة فنحو

1- الدومى، أحمد: أحمد ابن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا ص 228 . ص 231.

سبعمائة رجل، ومن النساء مائة ونيف، وأما الأنبياء فثمانية نحو ابن أبزي، وشيوخه في المسند، فبلغو ا مائتين وثلاثة وثمانين رجلا.[1]

كما أن الناظر في المسند سيجد لكل صحابي طائفة كبيرة من فقهه. وفتاويه. ففي مسند عمر طائفة من الفتاوى التي كان يفتى بها، وفى مسند علي، وعثمان، وعبدالله بن مسعود وغير هؤلاء فتاوى كبيرة وعظيمة من فتاوى كبيرة وعظيمة من فتاويهم، وأقضية من ولى منهم.

إن التوضيح الذي قدمناه حول كتاب المسند للإمام أحمد، إنما كان لما يتميز به المسند من مكانة، ولأنه يعتبر أبرز موسوعة علمية تعبر عما تكلفه الإمام من جهد. ومن عناء في سبيل تحصيل العلم الشرعي. ولم يقتصر الإمام أحمد على تأليف المسند، بل نسب له الكثير من المؤلفات، منها: كتاب العلم، كتاب الفرائض، كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ، الزهد، الإيمان، الأشربة، المسائل، الفضائل، طاعة الرسول، الرد على الجهمية.[2]

- أحمد بن حنبل والفقه:

اتجه أحمد بن حنبل في دراسته الأولى إلى طلب الفقه، على يد القاضي أبى يوسف. ولما بلغ أشده كان يتجه إلى فقه السنة، فكان هذا عاملا للإمام أحمد لدراسة علم الفقه، لا سيما بعد أن التقى بالإمام الشافعي في مكة، إذ استدعاه عقل الشافعي، ووضعه موازين دقيقة للاستنباط الفقهي. لذلك اتجه أحمد بن حنبل فيما طلب من العلم الشرعي إلى طلب علم الفقه والاستنباط مع الرواية، وقد تلقى ابتداء عن أبي يوسف، كما دكرنا ذلك سابقا، ثم تلقى انتهاء عن الشافعي وغيره. حيث التقى بالشافعي عدة مرات، فمنها ما كان في مكة، ومنها في بغداد سنة (198هـ).

وبهذه الصورة يكون السؤال هل يعد الإمام أحمد محدثا أم فقيها، لاسيما وأن له مذهبا فقهيا كاملا ينسب إليه؛ ولقد تكلم أبو زهره حول هذا الموضوع بكلام طيب؛ إذ يقول:

((وبهذا التقى الحديث والسنة والآثار مع الفقه، وسواء أكان طلبه للفقه سابقا للحديث والسنه، أم كان بعد ان اتجه إلى الآثار، وجمع منها الكثير، فإنه من المؤكد أنه اتجه إلى الفقه، والذى أراه في هذه القضية أنه اتجه إلى الفقه بدراسة عميقة، عندما أخذ يدرس الفقه في المرويات التي آل إليه علمها. .)).

---

[1] - الدقر، عبد الغنى: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص: 40. ص: 43.

[2] - الدقر، عبد الغنى: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص: 43، أحمد: أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا ص: 237.

يتضح لنا تقرير أبو زهرة أن فقه الإمام أحمد امتاز بطغيان نزعة الحديث، والوقوف على الآثار عليه. رغم أنه على الطرف الآخر من يرفض تسمية الإمام أحمد، لأنه لم يترك كتابا مرويا في الفقه، بل على الواقع نجده ترك مصنفا ضخما في الحديث، ألا وهو المسند. ولقد علل ابن القيم عدم كتابة الإمام أحمد لكتاب خاص به في الفقه، بانه كان شديد الكراهة لتصنف الكتب في غير الحديث، ولكن الله تعالى علم حسن نية أحمد بن حنبل، فجعل تلاميذه يعنون بتدوين كلامه وفتاواه) [1].

وهذا ما تميل إلى تقريره النفس من أن الإمام أحمد_ رحمه الله_ كان فقيها، وإن لم يصنف كتابا خاصا في الفقه، وأكبر دليل على ذلك، وجود اتجاه فقهي كامل يتسمى باسمه. إلا أن عمل الإمام أحمد في الفقه امتاز بامتلاكه للصبغة الحديثية العميقة الواضحة، من خلال دراسته للآثار واستنباطه منها لأحكام، فيعد بالتالي وصف أبى زهره لحال الإمام في العلم من أدق الأقوال.[2]

إلا أنه ورغم ذلك قد تكالبت مجموعة من الظروف أدت للتأثير في مذهبه الفقهي وجعله من أقل المذاهب انتشارا بصورة عامة في المجتمعات الإسلامية، وقد أشار لبعضها ابن خلدون بقوله أن السبب في ذلك إنما يعود لبعده عن الاجتهاد وأصالته في معاضدة الرواية والأخبار بعضها ببعض، رغم رفض الشيخ أبو زهرة لهذا القول لبعده عن واقع التطبيق فقد وقع الاجتهاد والاستنباط في المذهب وإن كان على صورة قليلة.[3]

. ويبقى الإشارة إلى أن من أهم الأسباب التي أدت لقلة انتشار المذهب الحنبلي في العصر الماضي ظهور في وقت قد سبقته به مجموعة من المذاهب القوية كالمذهب الحنفي والمالكي والشافعي فأسبقية ظهورها جعلت من الصعب على هذا المذهب أن يسابقها. وربما يكون من أهم الأسباب التي أدت لقلة انتشار هذا المذهب تبني بعض أطرافه للحدة في سبيل نشره.[4]

1-ابوزهرة، محمد: تاريخ المذهب الإسلامية، 2:490. الدرومى، أحمد: احمد بن حنبل بين محنه الدين ومحنة الدنيا ص: 241.

[2] - ابوزهره، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية 2 /490. و التركي، عبد الله بن عبد المحسن: أصول مذهب الإمام أحمد (دراسة أصولية مقارنة)، ج3-ص434.

[3] - أبوزهره، محمد: ابن حنبل، ص454-ص461. . والتركي، عبد الله بن عبد المحسن: أصول مذهب الإمام أحمد (دراسة أصولية مقارنة)، ج3-ص434.

[4] - ابوزهره، محمد: ابن حنبل، ص454-ص461. والتركي، عبد الله بن عبد المحسن: أصول مذهب الإمام أحمد (دراسة أصولية مقارنة)، ج3-ص434.

- **جمع فقه الإمام أحمد:**

لقد عرف الإمام بتشدده في منع من يريد كتابة اجتهاده وأقواله، وهذا ما سعى إلى توضيحه ابن القيم الذي على هذه القضية معقبا بقوله:

((... فعلم الله حسن نيته وقصده، فكتب من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سفرا، ومَن الله علينا بأكثرها فلم يفتنا منها إلا القليل)). ولقد جمع الخلال نصوصه في الجامع الكبير، فبلغ نحو عشرين سفرا أو أكثر، ورويت مسائله وفتاويه، وحدث بها قرنا بعد قرن، فرسمت صوره واضحة للإمام أحمد، ليصبح قدوة لأهل السنة على اختلاف طبقاتهم، حتى أن المخالفين لمذهبه بالاجتهاد والمقلدين لغيره ليعظمون فتاويه. ويعرفون حقها وقربها من النصوص وفتاوى الصحابة.

وأول من دون المسائل في الفقه عن أحمد بن حنبل ولداه: صالح وعبدالله، والكوسج المتوفى سنة (251هـ). ثم دون المسائل أبو بكر الأثرم المتوفى سنة(260هـ). ثم حنبل بن إسحاق المتوفى سنة (273هـ)، ثم عبد الملك الميمونى المتوفى سنة (274) هـ، وأبو بكر المروزى المتوفى سنة(285هـ)، وأبو داود السجستانى المتوفى سنة (275هـ)، وحرب الكرمانى المتوفى سنة(280هـ). وإبراهيم بن إسحاق الحربى المتوفى سنة(285هـ).

والذى جمع هذا كله من علم الإمام أحمد وفقهه أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، المتوفى سنة(311هـ) [1]

- **أساس فقه الإمام أحمد بن حنبل:**

هناك قاعدة يطبق عليها الفقه الحنبلي، اختصرها ابن تيميه في قوله: (توقيف في العبادات. وعفو في المعاملات) إن هذا هو الأصل الذى يقوم عليه فقه الإمام أحمد، فالعبادات عندهم لا تحتمل الاجتهاد، إلا من أن نفهم المراد من النص، وندرك أنه محكم غير منسوخ. ونمتثل الأمر ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله، والنصوص في العبادات كلها متكاملة لا تحتاج إلى من يتزيد فيها، وليس للقياس ولا الاستحسان، ولا الإجماع مكان في العبادات عند الإمام أحمد. أما السماحة فهي أساس فقه الحنابلة في المعاملات من عدة جهات، ومن أهمها:

1- الدقر. عبد الغنى: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ص:60، ص: 64.

حرية التعاقد إلا في حال مخالفته لصريح القرآن والسنة، كالتعاقد على الميسر والربا وغيرها. وأن في كتاب الله وسنة نبيه (عليه الصلاة والسلام)، وعمل الصحابة مندوحة عن الكذب والضيق والحرج الشديد).[1]

- **من أصول فقه أحمد بن حنبل :-**

وضع الإمام أحمد جملة من الأفكار شكلت أصولا لمذهبة بنى عليها طريقته في الاجتهاد، ولقد كان من أرائه أن الأدلة في الأحكام الشرعية والحوادث التي لا تدخل تحت العلوم لضرورة مأخوذة من أصول خمسة،[2] وهي:

1-كتاب الله تعالي ويقرأ قوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام :38).

2) سنة رسول الله (صل الله علية وسلم)، ويتلو: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلي الله والرسول) النساء (59).

3-إجماع أهل العصر من العلماء، أهل الحل والعقد، إذا لم يختلفوا فإن خالف بعضهم، ولو واحد منهم –لم يكن إجماعا. وإذا انتشر القول عن بعضهم، وعلمه جميعهم، فلن ينكروا شيئا منه فهو إجماع.

وكأن يقول الإجماع إجماع الصحابة ومن سواهم تبع لهم، وكان يجب أجماع أهل المدينة ويقدمه على غيرة وكان يقول الإمام كذلك: إن صح إجماع بعد الصحابة فهي عصر من الأعصار قلت به. وقال عبد الله بن حنبل: سمعت أبي يقول: ما يدعي فيه الرجل بالإجماع فهو كذب. وقال من ادعى الإجماع فهو كاذب. كما نقل عن الإمام أنه قرر أن الإجماع على فرض وجودة، فلا مطمع في العلم به.

4) قول الصحابي إذا نشروا لم يعرف له منكر، وكذلك عنده إذا اختلف الصحابة على قولين والقرض العصر على أحدهما، جاز بالقول الأخر عنده بعدهم.

5) القياس، وهو رد الشيء إلى نظيرة بعلة تجمع بين أصلة وفرعه، فإن عدم ذلك فلا قياس، وكان رحمة الله يجعل القياس بالأدلة في منزلة الميتة مع الضرورة، والتراب عند عدم الماء، وكان يمنع رحمة الله تعالى من القول بالاستحسان، ليس الدين عنده مأخوذ من طريق الحسن الجميل.

---

[1] - الدقر: المرجع السابق، ص: 60 - ص: 64.

[2] - أبو زهره، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية 2 /490. والتركي، عبد الله بن عبد المحسن: أصول مذهب الإمام أحمد (دراسة أصولية مقارنة)، ج3-ص434.

مجلة الدراسات الإسلامية (Al-Dirâsât Al-Islâmiyya) / المجلس الإسلامي الأعلى/ المجلد 22 ع 02
20 صفر 1444 هـ. الموافق 16/ 09/ 2022
ISSN: 1112-4083

ومن الأمور التي تذكر عن شخصية الإمام أحمد أنه كان عربي الأصل، ينتسب إلى قبيلة شيبان، صحيح الطبع، سليم النطق، عرف أساليب العرب ولغاتهم، وحسبنا في ذلك كلام الإمام الشافعي، عندما أثنى على الإمام أحمد بأمور كثيرة، منها اللغة العربية، لما لها من أصالة، لاسيما وأنها لغة القرآن الكريم، لذلك كثرت كتابته عن العربية، كما أنه كان يسأل كثيرا عن ألفاظ اللغة العربية التي تتعلق بالتفسير والأخبار، فيجيب عن ذلك بأوضح خطاب. رحم الله تعالى أحمد بن حنبل فلقد علم الله حسن نيته، ففتح له أوسع أبواب العلم.[1]

- **شيوخ الإمام أحمد بن حنبل:**

كان التنوع واضحا في شيوخ الإمام أحمد بن حنبل، فقد تتلمذ على أيدي شيوخ كبار في مجالي الفقه، والحديث

- **شيوخه في العلم**[(2)] :

روى أحمد بن حنبل عن كثير من العلماء الكبار في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان من أبرزهم:

إبراهيم بن سعد بن إبراهيم أبو اسحاق الزهري، ومحمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، والمعتمر بن سليمان أبو محمد التيمي، ويحي بن سعيد أبو سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي أبو سعيد الأزدي، ووكيع بن الجراح أبو سفيان الرؤاسي، ويزيد بن هارون أبو خالد الواسطي، وعبد الرزاق بن همام، و الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي، وهشيم بن بشير أبو معاوية الواسطي، و يعقوب بن إبراهيم بن سعد أبو يوسف الزهري، و سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي، وإسماعيل بن إبان أبو إسحاق الوراق الأزدي، و إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب الحنظلي المعروف بابن راهويه، وبشر بن السري أبو أبوعمرو البصري، وثابت بن الوليد أبو جبلة الزهري، وعبد العزيز بن أبان أبو خالد الأموي، و عمر بن أيوب أبو حفص العبدي، وعلي بن إبراهيم البناني المروزي، و أحمد بن إبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن إسحاق بن عيسى أبو اسحاق الطالقاني.[(3)]

[1] - ينظر: الدقر عبد الغني: أحمد بن حنبل أمام أهل السنة ص:65 – ص: 78.

2- ينظر: الدقر عبد الغني: أحمد بن حنبل أمام أهل السنة ص:65 – ص: 78.

3- ابن الجوزي: المناقب، ص40- ص69.

ISSN: 1112-4083

اما في الفقه فإن أبرز شيوخ الإمام أحمد هو الإمام الشافعي، وذلك على إثر لقاء تم بينهما في مكة، ليبدأ أحمد بن حنبل على أثرها بملازمة الشافعي.

- تلاميذ الإمام أحمد[1]:

إنه من الصعوبة الكبيرة جمع أسماء كل من تعلم على يد الإمام أحمد، إلا أن من أبرزهم :-

صالح بن الإمام أحمد وكنيته أبو الفضل	أبو بكر المروزي
عبدالله بن الإمام أحمد وكنيته أبو عبد الرحمن	أبو داود سليمان بن الأشعث السجمتاني
أبو إسحاق بن إبراهيم الحربي إمام الحديث	أبو علي حنبل بن إسحاق
إسحاق بن منصور التميمي	عبد الملك الميموني
الوراق أحمد بن محمد بن هانئ	مهنأ بن يحيى الشامي
إبراهيم بن هانئ	حرب الكرماني
بقي بن مخلد	عبد الوهاب الوراق
محمد بن اسماعيل البخاري	الامام مسلم بن الحجاج

- **ثم حصلت الرواية عن أحمد في طبقة أخرى** :-

أبو بكر أحمد بن هارون الخلال	أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر بن يزيد
أبو علي الحسين بن عبدالله الخرقي	أحمد بن سليمان النجار الفقيه
أبو الحسن بن علي بن بشار الزاهد	أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي
أبو محمد البهدهاري	أبو علي النجاد
ثم أنتقل إلى طبقة أخري :-	أبو إسحاق بن إبراهيم ابن أحمد
أبو القاسم بن عمر بن الحسين بن عبدالله الحرقي	أبو الحسين بن عبد العزيز بن الحارث التميمي
أبو عبدالله بن بطة العكبري	أبو حفص بن عمر بن أحمد البرمكي
ابو حفص عمر بن مسلم العكبري	أبو الحسن الخيرزي

[1] - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11-ص181-ص183.

ISSN: 1112-4083

أبو عبدالله الحسن بن علي بن مروان بن حامد	أبو علي محمد ابن أحمد ابن أبي موسى
أبو علي شهاب العكبري	أبو الفضل عبد الواحد
أبو الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز	أبو إسحاق إبراهيم البرمكي
ابن تيمية	

المبحث الثاني: منهج الإمام أحمد بن حنبل الفكري:

لقد شكل موقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من محنة القول بخلق القرآن، أساساً قوياً لتظهر تسمية جديدة يشار بها إلى من عرفوا – بعد ظهور المدارس الفكرية – بأهل النص ألا وهي تسمية الحنابلة، إذ أصبح الإمام أحمد مثلاً يضرب في الدلالة على شدة التمسك بالنص الشرعي، والأخذ بها يحمله من معنى والابتعاد كل البعد عن أي تأويل.

ولم يكن ذلك التمسك من الإمام أحمد بالأثر شيء يستنكر عليه في ظل ما شهد عصره من قضايا ومحاولات وصلت إلى حد العبث في كتاب الله وسنة نبيه (عليه الصلاة والسلام)، والسعي لتغيير معالمها بالتأويل، فمهما تجتهد العقول البشرية لن تصل إلى حقيقة الكثير من الأمور، لا سيمّا ما كان منها في باب الإلهيات، وبالذات عند الحديث عن صفات الله سبحانه وتعالى، لذلك نرى الإمام أحمد ومن ماثله من الفقهاء والمحدثين، قد مالوا لمنهج معين لم يقبلوا الحياد عنه[1].

- **المطلب الأول: رأيه في علم الكلام:**

يذكر ابن الجوزي في كتابة (المناقب) [2] نهى الإمام أحمد عن مجالسة أهل الكلام، وإن ذبوا عن السنة، وكذلك ورد على لسان الإمام قوله: (ما اشتغل أحد بعلم الكلام إلا وبقلبه دغل)[3].واستدلالاً بما ذكر على لسان الإمام يظهر لنا اتفاقه مع أمثاله من الفقهاء والمحدثين – أهل النص - على منع العمل بعلم الكلام، وذلك لاقتناعه رحمه الله تعالى بما سيؤول إليه الوضع من تقديم العقل على النص، وإهمال للنص، فالأساس عنده الكتاب والسنة، فلا يقوم العقل أمامها بشيء، بل كل ما يجب عليه هو التسليم فقط فما كان الشرعي السماوي، ليأتي بما يخالف

1- الدقر، عبد الغني: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، صـ198: صـ102.

2- ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، صـ156.

3 - الجهني، مانع: الموسوعة الميسرة، 2:1098.

ISSN: 1112-4083

العقل، أو يعارضه، فكلاهما من الله تعالى، إلا إذا وقع في أحدهما خلل مثاله أن يحرف النص المنقول، أو أن يكون العقل فاسداً أو فيه علة معينة [1].

- **المطلب الثاني: رأيه في صفات الله سبحانه وتعالى**

وفق عقيدة الإمام أحمد لا بد أن يؤمن المرء بالله تعالى بلا كيف، ويترك لله فهم أسراره، ويطرح دقائق علم الكلام في تناوله العقائد، لأنها تنطوي على الغرور والخطر الذي ينتهي بالهلاك. لذلك نراه في مجال القول بصفات الله تعالى، يسير مع نهج أهل السنة والجماعة، القائم على إثبات ما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله (عليه السلام)، فنؤمن بذلك على مراد الله ورسوله (عليه السلام)، دون سؤال منا عن كيفية، لقوله تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع العليم " (الشورى: 11)، فلا يرى حاجة للتأويل؛ لأن الله تعالى قد صرح بكلام يجب أن نفهمه على وجهه، فلو أزاد الله المعنى المؤول، لما أعجزه ذلك، بل ومن الجرأة على الله أن نؤول كلمة أو تعبيراً لا نقطع بأنها المراد من كلام الله تعالى، وكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأكبر ما يدل على ذلك أن القرآن الكريم قد نزل على العرب أصحاب الشأن الواسع المدى في اللغة، ولو أن في كلام الله ما ينبغي أن يصرف عن معناه الحقيقي، لدل عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولرواه الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – ولتلقاه التابعون من بعدهم، لكنهم لم يؤولوا، بقول الله :(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (آل عمران: 7).

وكما قلنا سابقاً في ظل ما عاشه الإمام من مجادلات محتدمة حول مواضيع كثيرة، وبالذات حول موضوع الذات الإلهية، وصفاته تعالى. نجده رحمه الله لم تزده تلك المواقف إلا تمسكاً بالأثر، ورفض التأويل. واستمر الإمام في حياته كلها يدافع عن عقيدته الأثرية، حتى وافته المنية، ولقد سئل رحمه الله – قبل موته بيوم عن أحاديث الصفات، فقال: تمر كما جاءت، ويؤمن بها ولا يرد منها شيء، إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حدود ولا غاية قال تعالى :(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (الشورى :11)، ومن تكلم في معناها أبتدع[2]. هذا بصورة عامة عن موقف الإمام عن صفات الله تعالى.

1- الدقر، عبد الغني: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، صـ99-101، فؤاد عبدالفتاح: الفرق الإسلامية، 1: 76:77.

2 - الرقد، عبد الغني: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، صـ104 – صـ 107.

مجلة الدراسات الإسلامية (Al-Dirâsât Al-Islâmiyya) / المجلس الإسلامي الأعلى/ المجلد 22 ع 02
20 صفر 1444 هـ. الموافق 16/ 09/ 2022
ISSN: 1112-4083

- **المطلب الثالث** أقوال للإمام أحمد بن حنبل:

(ينسب للإمام أحمد أقوال حول قضايا مختلفة منها:

- يذهب الإمام أحمد إلى أن الإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان واعتقاد، بالقلب، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويقوى بالعلم، ويضعف بالجهل، والإيمان عنده غير الإسلام بدليل قوله تعالى: (قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا) (الحجرات :14).
- منها قوله: إن لله تعالى ميزاناً يزن فيه الحسنات والسيئات.
- وقوله: إن بعض النبيين أفضل من بعض، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) أفضلهم، والملائكة أيضاً بعضهم أفضل من بعض، وإن الصالح من بني آدم أفضل من الملائكة، ويخطئ من يفضل الملائكة على بني أدم.
- قوله إن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان. وقوله: لله تعالى صراط ممدود على متن جهنم، أحدُ من السيف، وأرق من الشعر.
- قوله: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) غير موروث لحديث: "(نحن معاشر الأنبياء لا نورث. ما تركناه صدقة)".
- أنه كان لا يجيز لعن أحد من المسلمين، لم ترد الشريعة بلعنه.
- أنه كان لا يفتق مع الفقهاء في مسائل الخلاف.
- أنه يرى الصلاة خلف كل بر وفاجر، وقد صلى ابن عمر خلف الحجاج يعني الجمعة والعيدين، وأن الفيء، يقسمه الإمام.
- أنه كان يأمر بالتداوي من الأمراض، ويكره الشكوى.
- أنه كان يفضل الفقر على الغنى، ويأمر بالزهد ويقول: في الصبر على المكاره خير كثير.
- ومنها أنه كان يتحرج أن يدخل إلى دار فيها صور، أو دعوة فيها لهو [1].

- **وفاة الإمام أحمد بن حنبل**

أخذت هذه الحياة الحاملة في الأقوال شيئا فشيئاً، واستعد الإمام أحمد للقاء ربه، فضاعف الصوم حتى واصله، وهجر اللحم حتى أتعب الطبيب الذي كان يرجوه أن يترفق بنفسه، وأعتزل

1- الرقد. عبدا لغني: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ص: 123، 124.

ISSN: 1112-4083

الأصدقاء والحياة العامة، وثقل عليه المرض رحمه الله تعالى، وتضاعفت الحمى، وصعب التنفس عليه، إلا أنه رغم كل ذلك، لم يقطع نفسه من صلاة، ولا صيام، فقد حافظ عليهما حتى آخر لحظاته، وحتى عندما عجز عن تخليل أصابعه للوضوء، كان يأمر أولاده أن يخللوا له أصابعه.

وحول ما ترك من مال، نجده يسأل عما تركه: فقيل له عددهم! أي والله درهم أي، والله درهم كما روت الأخبار، فأمر أن يتصدق عنه ومن إيجار البيت بمقدار كفارة اليمين، ثم أعلن فرحته للقاء ربه وهو مسكين؛ ليحشر في زمرة المساكين، وقد روت الأخبار، أنه قد أوصى رحمه الله تعالى، بأن توضع ثلاث شعرات كانت عنده من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في الكفن، كما تروى أنه رحمه الله لم يئن أبداً في فترة مرضه، لما علمه من حديث رواه عن طاوس عن كراهية الأنين.

وقد سئل عبد الله هل عقل أبوك عند الموت المعاينة؟ قال: نعم كنا نوضئه فجعل يشير بيده، فقال لي صالح: أي شيء يقول: فقلت: هل يقول: خللوا لي أصابعي ! فخللنا أصابعه ثم ترك الإشارة: فمات من ساعته، تغمده الله برحمته، وذلك لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين، وهو ابن سبع وسبعين سنة. وتذكر الأخبار أنه قد شيع رحمه الله في جنازة عظيمة، حضرها عشرات الألوف من الرجال والكثير من النساء: وهذا يدل على أن موجة عامة من الحزن والرثاء عمت العالم الإسلامي عامة. وما يسعنا في نهاية المطاف إلا الترحم عليه، والدعاء له، لعظيم ما قدمه للأمة الإسلامية. فرحم الله الإمام أحمد، وجزاه الله عنا خير الجزاء.[1]

***- خاتمة**

وفي ختام هذه الدراسة، وبعد هذا العرض لأحداث حياة هذا العالم ندرك مدى ما قدمه علماؤنا السابقون من تضحيات، ومبلغ ما تحملوا في سبيل هذا الدين، ليكونوا منارة يستنار بها في عصور الظلام التي مرت على البلاد الإسلامية.

ولقد وهب الإمام أحمد بن حنبل حياته كلها دفاعا عن الحق الذي أمره الله تعالى به، كما هو وارد في الكتاب والسنة النبوية، فحفظ الله به هذا الدين، فجزاه الله عن الأمة الإسلامية خير الجزاء

والله من وراء القصد، وهو حسبي واليه مناب.

***

[1] - الرومي، أحمد بن حنبل بين محنة الدنيا والدين، ص 07- ص 210.

ISSN: 1112-4083

قائمة المصادروالمراجع

1) الأهل، عبد العزيز: **شيخ الأمه أحمد بن حنبل**، دار العلم للملايين، بيروت، ط –سنه 1972م
2) أبو زهرة: محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي، سنه 1987م
3) البوطي: محمد: **السلفية مرحله زمنيه مباركة لا مذهب إسلامي** دار الفكر، دمشق، 1988م
4) الجهني، مانع: **الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة، العالمية، الرياض، ط، 2003م
5) ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن: **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط2، 1977م
6) الدقر، عبد الغني: أحمد **بن حنبل إمام أهل السنة**، دار القلم، دمشق، ط3، 1993م
7) الرومي: أحمد الجوار: أحمد **بن حنبل بين منحة الدين ومنحة الدنيا**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1978م
8) عبيدات، محمود: **تاريخ الفرق وعقائدها**، دار المكتبة الوطنية، 1998م
9) فؤاد، عبد الفتاح: **الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002م